جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت – كلية التربية للعوم الانسانية

قسم العلوم التربوية والنفسية /الدراسات الاولية

الفلسفة ومفهومها

اعداد

ا. م. د. عداي ناجي

١٤٤٧هـ

٢٠٢٦

تعد الفلسفة واحدة من أقدم الأنشطة الفكرية التي مارسها العقل البشري، وهي لم تكن يوماً مجرد ترف فكري، بل نتاج حاجة إنسانية ملحة لفهم الوجود، وتفسير الظواهر المحيطة بالمرء، وتوجيه سلوكه اليومي والتربوي.

بالرجوع إلى الأصل اللغوي والتاريخي، نجد أن كلمة "فلسفة" هي كلمة مشتقة من اللغة اليونانية القديمة، وقد صِيغت من مقطعين أساسيين:

المقطع الأول: (Sophia) ويعني "الحكمة".

المقطع الثاني: (Philos) ويعني "الحب" أو "الصداقة".

بدمج المقطعين، تصبح الكلمة (Philosophos)، أي "محب الحكمة". ويعود الفضل التاريخي الأول في صياغة هذا المصطلح وتحديده الدقيق إلى الفيلسوف وعالم الرياضيات اليوناني الشهير فيثاغورس (Pythagoras). وقبل فيثاغورس، كان حكماء اليونان يُطلقون على أنفسهم لقب "حكماء" (Sophos)، وكان هذا اللقب يُطلق على كل من تميز في شيء عقلي أو مادي، فكان يُطلق على المبدعين في الموسيقى، والطهي، والبحار، والنجار، حيث كان اللقب يشمل كل من منح عقلاً راقياً في مجاله.

يمكن تصنيف أهم المفاهيم الاصطلاحية الكبرى للفلسفة في النقاط التالية:

١ الفلسفة هي علم الكل: ويُقصد بها دراسة الظواهر الكلية والمشتركة، والبحث عن القوانين العامة التي تحكم الوجود بأسره، دون الغرق في التفاصيل الجزئية التي تتركها الفلسفة للعلوم التطبيقية.

٢ الفلسفة هي علم المبادئ والعلل الأولى: وهي رؤية أرسطية كلاسيكية ترى أن الفلسفة تبحث في الأسباب العميقة وغير المرئية خلف وجود الأشياء، أي البحث في أصل الوجود وموجده.

٣ الفلسفة هي معرفة الأمور الإلهية والبشرية: وهو التعريف الذي ساد في العصور الوسطى، حيث ركزت الفلسفة على محاولة التوفيق بين العقل والنقل، وفهم طبيعة الخالق وعلاقة الإنسان بالكون.

٤ الفلسفة هي فن الفنون وعلم العلوم: لأنها تمثل المنهج العقلي الشامل الذي يمد كافة العلوم الأخرى بالقروض الأولية والمبادئ الأساسية والفرضيات التي تقوم عليها تلك العلوم.

٥ الفلسفة هي حكمة الحياة: وهي النظرة العلمية والعملية التي تصوغ للموقف الفردي مذهبه الخاص، وتحدد طريقة تفكيره واعتقاده الذي يؤمن به بعد إقامة البرهان والتعليل على صحته.

٦ الفلسفة هي الدراسة التحليلية للمفاهيم والرموز العلمية: وهي النظرة الحديثة والمعاصرة (خاصة في الفلسفة التحليلية والوضعية المنطقية) التي ترى دور الفلسفة في نقد وتفكيك وتحليل المصطلحات لغوياً ومنطقياً لمنع اللبس والغموض.

يمكن تصنيف أهم المفاهيم الاصطلاحية الكبرى للفلسفة في النقاط التالية:

١ الفلسفة هي علم الكل: ويُقصد بها دراسة الظواهر الكلية والمشتركة، والبحث عن القوانين العامة التي تحكم الوجود بأسره، دون الغرق في التفاصيل الجزئية التي تتركها الفلسفة للعلوم التطبيقية.

٢ الفلسفة هي علم المبادئ والعلل الأولى: وهي رؤية أرسطية كلاسيكية ترى أن الفلسفة تبحث في الأسباب العميقة وغير المرئية خلف وجود الأشياء، أي البحث في أصل الوجود وموجده.

٣ الفلسفة هي معرفة الأمور الإلهية والبشرية: وهو التعريف الذي ساد في العصور الوسطى، حيث ركزت الفلسفة على محاولة التوفيق بين العقل والنقل، وفهم طبيعة الخالق وعلاقة الإنسان بالكون.

٤ الفلسفة هي فن الفنون وعلم العلوم: لأنها تمثل المنهج العقلي الشامل الذي يمد كافة العلوم الأخرى بالقروض الأولية والمبادئ الأساسية والفرضيات التي تقوم عليها تلك العلوم.

٥ الفلسفة هي حكمة الحياة: وهي النظرة العلمية والعملية التي تصوغ للموقف الفردي مذهبه الخاص، وتحدد طريقة تفكيره واعتقاده الذي يؤمن به بعد إقامة البرهان والتعليل على صحته.

٦ الفلسفة هي الدراسة التحليلية للمفاهيم والرموز العلمية: وهي النظرة الحديثة والمعاصرة (خاصة في الفلسفة التحليلية والوضعية المنطقية) التي ترى دور الفلسفة في نقد وتفكيك وتحليل المصطلحات لغوياً ومنطقياً لمنع اللبس والغموض.

لقد مرت الفلسفة بأطوار تاريخية كبرى غيرت من طبيعة محتواها وتطبيقاتها، ويمكن تتبع هذا التطور عبر ثلاثة عهود رئيسية:

العصور القديمة (الشرق القديم واليونان)

بدأت الإرهاصات الأولى للتفكير الفلسفي في حضارات الشرق القديم (مصر، بابل، الهند، والصين) حيث كانت الفلسفة ممتزجة بالدين والأساطير والحكمة العملية. ولكن الولادة الحقيقية للفلسفة بنمطها العقلي الخالص والخالي من الخرافة كانت في بلاد اليونان منذ القرن السادس قبل الميلاد مع طاليس وسقراط وأفلاطون وأرسطو. في هذا العهد، تميز الفكر اليوناني بالبحث عن جوهر الكون والعلة المادية والروحية الأولى له.

العصور الوسطى (السينوية والسكولائية)

تميزت هذه الفترة بهيمنة الفكر الديني واللاهوتي؛ حيث انقسمت الفلسفة إلى فلسفة إسلامية (مع الكندي، الفارابي، ابن سينا، وابن رشد) وفلسفة مسيحية غربية (السكولائية مع توماس الأكويني). كان المفهوم المحوري للفلسفة هنا هو محاولة إثبات العقائد الدينية بواسطة الأدلة العقلية المنطقية المستعارة من أرسطو وأفلاطون، وتوضيح أن العقل لا يتعارض مع الوحي.

العصر الحديث والمعاصر

شهد هذا العصر انقلاباً شاملاً في مفهوم الفلسفة نتيجة للتقدم العلمي والتكنولوجي المتسارع. تحولت الفلسفة من ميتافيزيقيا تأملية إلى فلسفة ذات أبعاد نقدية وعملية تنعكس على سلوك الإنسان وأدائه الظاهري (Overt\ Behaviour). وأصبحت تتدخل بقوة في توجيه النظم الاجتماعية، التربوية، والسياسية، وتحليل البنى المعرفية والوجودية للإنسان المعاصر في ظل التحولات الديمقراطية أو الرأسمالية أو الاشتراكية.

ماهي المسائل التي تناولتها الفلسفة

١ مسألة الوحدة: وهي تبحث في "علة العلل"، القوة القادرة على كل شيء والخالقة لكل شيء، ومفيضة الحياة على العالم. ويطلق على هذا القسم اسم فلسفة ما بعد الطبيعة (الميتافيزيقيا)، وهو يبحث في حقيقة الكون وأصله الواحد الثابت خلف المتغيرات.

٢ مسألة الكثرة: وتختص بدراسة مظاهر العالم المتنوعة والمتعددة، ويسمى هذا النوع بـ (الفلسفة الطبيعية)، حيث يتم البحث في المادة، الحركة، الزمان، والمكان، ومحاولة تفسير القوانين التي تحكم الطبيعة المحسوسة.

٣ مسألة المخلوقات في المملكة الحيوانية (التي يقع في أعلى سلمها الإنسان): وهذا القسم يبحث في الطبيعة الإنسانية من جوانب متعددة ومتكاملة:

من حيث وجوده ورقيه: ويسمى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا).

من حيث تكوينه وموارده الجسمي الفسيولوجي: ويسمى بايولوجيا (وظائف الأعضاء).

من حيث عالمه النفسي وسلوكه: ويسمى سيكولوجيا (علم النفس).

من الملاحظات الجوهرية في الفلسفة أن مفهومها يختلف من فيلسوف إلى آخر ومن مدرسة إلى أخرى، ويرجع هذا التعدد والاختلاف الحتمي إلى عوامل وأسباب موضوعية تكمن في صلب البنية الإنسانية والاجتماعية، ومن أهمها:

أولاً: اختلاف الفلسفة باختلاف المذاهب الفلسفية المتباينة والمدارس الفكرية:

فالمفهوم الذي يقدمه المذهب المثالي (الذي يركز على الروح والأفكار المتعالية) يختلف تماماً عن المفهوم الذي يقدمه المذهب الواقعي (الذي يرتكز على المادة والمحسوسات)، ويختلف بدوره عن المذهب البرجماتي (الذي يربط الحقيقة بالمنفعة والعمل والنتائج التطبيقية).

ثانياً: اختلاف الفلسفة ومفهومها باختلاف العصور التاريخية:

فالمفهوم الفلسفي في العصور القديمة (اليونانية والرومانية) كان يركز على الوجود وجوهر المادة، بينما تحول المفهوم في العصور الوسطى ليرتبط باللاهوت والدين، وتغير في العصر الحديث والمعاصر ليصبح معنياً بنقد المعرفة، وتوجيه السلوك، وتحليل النظم العلمية والتربوية.

ثالثاً: اختلاف الفلسفة باختلاف النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والمدارس الدينية:

فالمفهوم الفلسفي في النظام الديمقراطي أو الرأسمالي يختلف في غاياته وأدواته عن المفهوم في النظام الاستبدادي أو الفوضوي أو الاشتراكي. كما أن الفلسفة ومفهومها عند المسلمين تختلف في منطلقاتها العقدية والاجتماعية والتربوية عنها عند المسيحيين أو عند ذوي الاتجاهات العلمانية والوضعية الوصفية.

يتميز التفكير الفلسفي عن التفكير العامي أو التفكير العلمي التجريفي البسيط بمجموعة من الخصائص والسمات البنيوية التي تجعل منه أداة نقدية وبنائية في آن واحد، وتتمثل هذه الخصائص فيما يلي:

النزعة النقدية العقلانية الخالصة: الفلسفة لا تقبل الأفكار الجاهزة أو العادات الموروثة على أنها مسلمات بديهية، بل تخضع كل شيء للمساءلة والتمحيص العقلي، معتمدة على الاستدلال العقلي الخالص دون الاكتفاء بالاعتماد الفج على الحواس.

الشمولية والكلية: على العكس من العلم الذي يدرس أجزاء محددة (كالفيزياء للجماد، والأحياء للكائنات الحية)، فإن الفلسفة تنظر إلى الوجود ككل متكامل وتتلمس الروابط العميقة بين شتى ميادين المعرفة الإنسانية.

التأمل والعمق والبحث عن الضرورة: التفكير الفلسفي يتجاوز السطح والظواهر الخارجية لينفذ إلى "الجوهر والمطلق"، باحثاً عما هو ثابت ومستقر خلف الأعراض المتغيرة.

التغير والصيرورة المستمرة: في العصر الحديث، تخلصت الفلسفة من النظرة القديمة التي كانت تتسم بالثبات المطلق والعالم المغلق، وأصبحت تعترف بأن عالمنا المعاصر هو عالم متغير يتسم بالثبات والصيرورة معاً، عالم متفاعل ديناميكياً وحركياً تعتريه التغيرات في جميع أنظمته الاجتماعية، الثقافية، السياسية، والاقتصادية.

التداخل الوثيق مع السلوك والأداء التربوي: الفلسفة الحديثة تؤثر مباشرة في صياغة الفروض والمبادئ السلوكية وتوجيه الخيارات السلوكية والتربوية للأفراد، مما يساهم في تكوين المعتقدات الموجهة نحو نقد الممارسات الحياتية وتصحيحها.

بناءً على ما تقدم، يمكننا استنتاج أن الفلسفة ليست فكراً معزولاً عن الواقع، بل هي مجهود فكري منظم ومستمر يبذله الإنسان العادي ورجل العلم والمعرفة على حد سواء، لكي يجعل من حياته شيئاً له معنى وقيمة موجَّهة تساهم في الارتقاء الإنساني. إن الانتقادات التي وُجهت للفلسفة في بعض الفترات التاريخية بأنها "غير مجدية" أو أن "لغتها مغلقة ومعقدة" هي انتقادات دُحضت مع تطور الفلسفة الحديثة والمعاصرة.

اليوم، ونحن نعيش في عالم سريع التغير، عالم تجاوز ثوابت القرون الماضية وانفتح على الصيرورة والتدفق المعرفي الهائل، تبرز الحاجة ماسة إلى "الفلسفة" أكثر من أي وقت مضى؛ لأنها تمدنا بالعدسات النقدية القادرة على فحص الأفكار المستحدثة، وتنسيق الأساليب السلوكية، وبناء الإنسان بوعي وتأمل وتبصر بالماضي والحاضر والمستقبل. إن الفلسفة هي الضمانة الفكرية لحماية العقل البشري من الانغلاق أو الهوس أو القصور، وهي الأداة المثلى لصياغة الرؤى التربوية والاجتماعية التي تساهم في بناء مجتمع إنساني واعي ومتوازن